التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم

في ظلال القرآن أنموذجا

ورقة بحثية مقدمة إلى جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة بالجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية – في مؤتمرها الدولي بعنوان: « فهم القرآن: بين النص والواقع » الذي تنظمه كلية أصول الدين – في الفترة: ٤-٥ ديسمبر ٢٠١٣م

د. وصفي عاشور أبو زيد

دكتوراه في مقاصد الشريعة الإسلامية

كلية دار العلوم – جامعة القاهرة

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد،

فإن القرآن الكريم هو الكتاب الخالد لهذه الأمة، ودستورها الشامل، وحاديها الهادي، وقائدها الأمين، كما أنه الكتاب الخالد للدعوة الإسلامية، ودليلها في الحركة في كل حين، وله أهمية كبيرة في حياة الفرد، وفي حياة الأسرة، وفي حياة المجتمع، وفي حياة الأمة؛ فهو يعالج بناء هذا الإنسان نفسه، بناء شخصيته وضميره وعقله وتفكيره، ويشرع من التشريعات ما يحفظ كيان الأسرة؛ تظللها السكينة وتحفها المودة وتغشاها الرحمة، كما يعالج بناء المجتمع الإنساني الذي يسمح لهذا الإنسان بأن يحسن استخدام الطاقات الكامنة في المجتمع، وينشد الأمة القوية المتماسكة الشاهدة على العالمين.

في القرآن الكريم نجد المناهج الثابتة، والسنن الجارية، والقيم السامية، والمثل العالية، والموازين العادلة، والقواعد الراسخة، والأفكار السامقة، والتصورات الراشدة، وغير ذلك مما جعل القرآن الكريم كتابا خالدا شاملا محكما يخاطب الإنسان والزمان والمكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن أجل هذه المكانة والقيمة لهذا الكتاب الخالد تتابعت عليه الأجيال، وتنادى له العلماء، وبذلت في نشره النقود، وتجمعت له الحشود، وتوفرت عليه الجهود: قراءة وفهما، وتدبرا وعملا، وتفاعلا وتحاكما، وتفسيرا وبيانا، حتى غدا أهم كتاب عرفته الإنسانية، فلا يوجد كتاب حظي باهتمام وشرح وبيان وتفسير كما هو القرآن الكريم.

ومن أهم المناهج والطرق التي ينبغي أن نتعامل بها مع القرآن الكريم هي طريقة فهم القرآن بأهدافه وغاياته ومقاصده، فلن نستطيع أن نستلهم هدايات القرآن إلا بمعرفة مراداته منا وواجباته علينا ومدى تأثيره – عبر هذا كله – فينا.

ولا شك أن كتاب "في ظلال القرآن" للأستاذ سيد قطب – يرحمه الله – يقوم مدرسة وحده في التعامل المقاصدي مع سور القرآن الكريم، من خلال ما يقوم به – قبل البدء في التفسير المفصل لآيات السورة – من رسم متكامل بما يشبه "اللوحة الفنية" أو "الصورة

الشمسية" لأبعاد السورة، وبيان محاور الحديث فيها، وإبراز الأهداف والمقاصد التي تسعى السورة إلى ترسيخها في المؤمنين خاصة، وفي البشرية عامة.

ومن هنا أردت أن أتناول هذه الفكرة – لأهميتها – بالبحث والتحليل، والتتبع والتفصيل، والكتابة والتأصيل، مع التطبيق العملي على "في ظلال القرآن"، وقد جاء هذا البحث في مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة:

المقدمة تحدثت عن الموضوع وأهميته ومحتوياته.

المبحث الأول: معنى التفسير المقاصدي للقرآن الكريم.

المبحث الثاني: التفسير المقاصدي: أنواعه وعلاقته بأنواع التفسير:

المبحث الثالث: مقومات التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم:

المبحث الرابع: مقاصد التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم:

المبحث الخامس: تطبيقات عملية للتفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم من خلال "في ظلال القرآن" لسيد قطب.

ثم كانت الخاتمة التي احتوت أهم ما انتهى إليه البحث.

هذا، وإن كان من صواب فمن الله، وإن كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وصفي عاشور أبو زيد

القاهرة في ٥ محرم الحرام ١٤٣٥هـ الموافق ٨ نوفمبر ٢٠١٣م.

المبحث الأول: معنى التفسير المقاصدي للقرآن الكريم.

"التفسير المقاصدي" مركب وصفي ينبغي أن يعرَّف كل لفظ من ألفاظه ثم نعرِّف المصطلح بتركيبه.

أولا: تعريف التفسير:

التفسير لغة من "الفسْر"، وهو الإبانَةُ وكشْفُ المُغطَّى([1])، ومنه قوله تعالى: "وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً". سورة الفرقان: ٣٣. ولم يرد هذا اللفظ في القرآن الكريم إلا في هذه الآية فقط([2]). ويقال هو مقلوب السفر، تقول: أسفر الصبح إذا أضاء، وقيل مأخوذ من التفسرة وهي اسم لما يعرف به الطبيب المرض([3]).

والتفسير اصطلاحا: هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامتها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها .. وزاد فيها قوم فقالوا: علم حلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها([4]).

وقال الزرقاني: "والتفسير في الاصطلاح: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية .... وعرفوا علم التفسير أيضا بأنه: علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز من جهة نزوله وسنده وأدائه وألفاظه ومعانيه المتعلقة بالألفاظ والمتعلقة بالأحكام ... وعرفوا التفسير تعريفا ثالثا بأنه: علم

([1]) القاموس المحيط: ٤٥٦. محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين. تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الثامنة. ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

([2]) المدخل إلى التفسير الموضوعي: ١٣. لشيخنا العلامة د. عبد الستار فتح الله سعيد. دار التوزيع والنشر الإسلامية. القاهرة. الطبعة الثانية. ١٤١١هـ. ١٩٩١م.

([3]) الإتقان في علوم القرآن: ٦/ ٢٢٦١. جلال الدين السيوطي. مركز الدراسات القرآنية. طبعة مجمع الملك فهد. السعودية. الطبعة الأولى.

([4]) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ١٤٨. لبدر الدين محمد بن بهادر الزركشي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه. ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان – وبنفس ترقيم الصفحات. الطبعة الأولى. ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.

يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب وغير ذلك كمعرفة النسخ وسبب النزول وما به توضيح المقام كالقصة والمثل".

قال: وهذا تعريف وسط بين التعريفين، ومن السهل رجوعه إلى التعريف الأول؛ لأن ما ذكر هنا بالتفصيل يعتبر بيانا لمراد الله من كلامه بقدر الطاقة البشرية في شيء من التفصيل([٥]).

قال الراغب: التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها. وقال غيره: التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا، والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة([٦]).

والتعريف الثاني للزرقاني هو الأقرب للمضمون، والمعبر عن المفهوم، والأشمل للتعريفات جميعا؛ فهو علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز من جهة نزوله وسنده وأدائه وألفاظه ومعانيه المتعلقة بالألفاظ والمتعلقة بالأحكام.

ومن الواضح أن التعريف الاصطلاحي هنا لم يختلف كثيرا عن التعريف اللغوي، وإنما يدور التعريف الاصطلاحي حول الإبانة والكشف والإيضاح، وكل ما يوصِّل إليه، ويعمل عليه، كما أنه تفصيل وتحقيق له.

ثانيا: تعريف المقاصد:

المقاصد لغة: هي الأَمُّ والتوجه والنهوض، قال ابن منظور: قال ابن جني: "أَصل « ق ص د » ومواقعها في كلام العرب الاعتزام والتوجه والنهودُ والنهوضُ نحو

([٥]) مناهل العرفان في علوم القرآن: ٢: ٦-٧. محمد عبد العظيم الزرقاني. تحقيق: فواز أحمد زمرلي. دار الكتاب العربي بيروت. الطبعة الأولى. ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م.

([٦]) الإتقان في علوم القرآن: ٦/ ٢٢٦١-٢٢٦٢.

الشيء، على اعتدال كان ذلك أَو جَوْر، هذا أَصله في الحقيقة، وإنْ كان قد يخص في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل"([٧]).

والمقاصد اصطلاحا: هي ما تغياه الشارع من وضع أحكام الشريعة الإسلامية لتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل، قال علال الفاسي: (المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها)([٨]). وقال أستاذنا الدكتور أحمد الريسوني: "هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"([٩]).

وقد تتبع الدكتور نور الدين بن مختار الخادمي أغلب التعبيرات والاستعمالات لكلمة المقاصد التي استخدمها العلماء قديما وحديثا ليعنوا بها مراد الشارع، ومقصود الوحي ومصالح الخلق، فوجد أنه يعبر عن المقاصد عندهم بالحكمة المقصودة بالشريعة، ويعبر عنها أيضا بمطلق المصلحة، ويعبر عنها كذلك بنفي الضرر ورفعه وقطعه، كما يعبر عنها بدفع المشقة ورفعها، ويعبر عنها كذلك بالكليات الشرعية الخمس الشهيرة، ويعبر عنها أيضا بمعقولية الشريعة وتعليلاتها وأسرارها، كما يعبر عنها بلفظ المعاني([١٠]).

يتبين هنا أيضا أن التعريف الاصطلاحي كان في اتجاه التعريف اللغوي، وتعميقا له، مع تخصيصه بمجال الشريعة، كما يلاحظ أن تعريف الفاسي شمل المقاصد الكلية والمقاصد الجزئية، وأن تعريف د. الريسوني شمل قصد الشارع وقصد المكلَّف معا.

ثالثا: تعريف التفسير المقاصدي للقرآن الكريم:

([٧]) لسان العرب: ٣/ ٣٥٣. لابن منظور الأفريقي. دار صادر. بيروت. بدون تاريخ.

([٨])مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها : ٧. علال الفاسي. دار الغرب الإسلامي. الطبعة الخامسة. ١٩٩٣م.

([٩])نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي: ٧. دار الأمان. الرباط. ط١. ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

([١٠])ينظر الاجتهاد المقاصدي للدكتور نور الدين الخادمي: ١/٤٨-٤٩-٥٠-٥١. كتاب الأمة. عدد (٦٥). جمادى الأولى. ١٤١٩هـ.

مما سبق من تعريفات للتفسير والمقاصد يتبين لنا أنهما يدوران حول: الكشف عن الأهداف، والإبانة عن الغايات، وذلك في مجال القرآن الكريم.

ومن هنا يمكننا تعريف التفسير المقاصدي للقرآن الكريم فنقول: "**هو لون من ألوان التفسير يبحث في الكشف عن المعاني والغايات التي يدور حولها القرآن الكريم كليًّا أو جزئيًّا مع بيان كيفية الإفادة منها في تحقيق مصلحة العباد**".

ونعني بـ "كليًّا أو جزئيًّا" المقاصد العامة للقرآن الكريم، والتي تحدث عنها القرآن نفسه، وكثير من العلماء، وسيأتي تفصيل عنها، والمقاصد الجزئية التي ربما تكون خاصة بموضوع أو سورة أو مجموعة من الآيات، أو حتى آية واحدة، وربما لفظة واحدة، وبيان المراد منها.

والنصُّ على "بيان كيفية الإفادة منها" جاء للتأكيد على أن التفسير ليس للتفسير وحسب، وإنما لبيان كيفية استنزال هدايات القرآن للواقع المعاصر، وكيف تفيد منها الدوائر الاجتماعية المختلفة: الفرد، والأسرة، والمجتمع، والدولة، والأمة، والإنسانية جمعاء.

المبحث الثاني: التفسير المقاصدي: أنواعه وعلاقته بأنواع التفسير:

المطلب الأول: أنواع التفسير المقاصدي:

يمكننا أن نقسم التفسير المقاصدي إلى نوعين:

النوع الأول: التفسير المقاصدي العام:

وهو ذلك التفسير الذي يبحث في الغايات الكلية والعامة للقرآن الكريم، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه المقاصد([١])، فالقرآن تحدث عن مقاصده، ومن ذلك:

١. مقصد توحيد الله وعبادته:

- "الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ". هود.

-"تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ..". الزمر.

-"حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣)". غافر.

-"حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ (٣) قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥)". الأحقاف.

٢. مقصد الهداية الدينية والدنيوية للعباد:

([١]) أفدت هذا النوع من كتاب أستاذنا الدكتور أحمد الريسوني "مقاصد المقاصد". الشبكة العربية للأبحاث والنشر. بيروت. الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٣م.

الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) . البقرة.

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ. البقرة: ١٨٥.

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨). البقرة.

الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ". آل عمران.

قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦). المائدة.

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩). الإسراء.

قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣). طه.

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠). الأحقاف.

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢). الجن.

وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤). النحل.

وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩) . النحل.

"رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ. الطلاق: ١١.

٣. مقصد التزكية وتعليم الحكمة:

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) . البقرة.

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١). البقرة.

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤). آل عمران.

وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١). البقرة.

٤. مقصد الرحمة والسعادة:

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧). الأنبياء.

وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢). الإسراء.

طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٣). طه.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤). الأنفال.

٥. مقصد إقامة الحق والعدل:

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ. الحديد.

وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥). الأنعام.

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨). النساء.

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ. المائدة: ٤٨.

اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ. الشورى: ١٧.

الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩). الرحمن.

النوع الثاني: التفسير المقاصدي الخاص:

وهذا النوع من التفسير المقاصدي هو الذي يبحث في مقاصد خاصة بمجال من المجالات أو مقاصد خاصة بسورة من السور، أو حتى مقاصد تفصيلية لألفاظ القرآن الكريم.

فمجالات القرآن الكريم متنوعة، مثل: مجال العبادات، ومجال أحكام الأسرة، ومجال الحدود والعقوبات، ومجال تزكية النفس، ومجال الأخلاق، ومجال العقيدة ... الخ.

وجمع آيات القرآن الكريم في مجال من المجالات، أو حتى موضوع من الموضوعات مع التأمل فيها والتدبر يكشف عن مرامي القرآن الكريم وغاياته في هذا المجال أو ذاك.

فلو تأملنا مثلا في مجال الزواج والحياة الزوجية، وهو ركن من أركان أحكام الأسرة، فكيف تحدث القرآن عن هذه العلاقة؟

للفقهاء والأصوليين حديث عن الزواج تغلب عليه اللغة القانونية؛ لغة الحقوق والواجبات، ولغة الأحكام الشرعية، حيث الوصف بالحل والحرمة ونحو ذلك، وللدعاة

حديث أيضا تغلب عليه روح الإصلاح، واستدامة الحياة، واستبقاؤها بين الزوجين، في غير نسيان للتذكير بالحقوق المتبادلة بينهما، وسبل تفعيلها.

وقد وجدت في القرآن مذاقا خاصا وطعما حلوا ومعاني متفردة حين تحدث عن الزواج، ذلك الرباط الوثيق والميثاق الغليظ، وتلك العلاقة العجيبة.. فكيف تحدث القرآن عنها؟

١- الزواج آية من آيات الله تستحق التفكر، قال تعالى {ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة...} (الروم: ٢١)، فهل هناك أسمى من أن يجعل الله الزواج آية من آياته تستحق التفكر والتدبر والتأمل لما فيها من عجائب وغرائب يلحظها كل سليم الفطرة عميق الفكر بعيد النظر؟! أما أصحاب الفطر المطموسة المنكوسة فليسوا من ذلك في شيء؛ ولهذا ختمت الآية بقوله تعالى {إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون}.

٢- الزوجة مخلوقة من نفس الزوج، كما في آية سورة الروم السابقة {من أنفسكم} وكما في قوله تعالى {يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها...} (النساء: ١) وقوله {وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة...} (الأنعام: ٩٨) فانظر إلى دلالة: {منها} فهي توحي بأن الزوجة جزء من الزوج، والزوج جزء من الزوجة، فكأن الأصل أن هذه العلاقة غير قابلة للانفصال إلا إذا انفصل الجزء عن الكل، أو انبتر العضو من البدن، وهو ما لا يتصور إلا بمرض خبيث، نسأل الله العافية.

وأيضا فيها دلالة أخرى، وهي أن المرأة من طينة الرجل، فيها ما فيه من ضعف ونقص وخطأ، فلا ينبغي أن يفترض فيها الكمال، والأمر كذلك بالنسبة له، إنهما من الطينة نفسها.

٣- الزواج سكن للزوجين، كما في قوله تعالى {... وجعل منها زوجها ليسكن إليها} (الأعراف: ١٨٩) وقوله {خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها} (الروم: ٢١)

وجعل هذا من آيات الله تعالى، وهذا محسوس ومشاهد في الحياة العملية للأزواج الأسوياء.

وفي كون الزواج سكنا للطرفين يجعل كلا منهما متمسكا بهذا السكن، وهل يفرط في السكن عاقل أو سوي؟! إضافة إلى ما في بنية الكلمة {لتسكنوا} من راحة وروح واطمئنان وهدوء تسكبها في النفس حروف الهمس في الكلمة.

٤- المودة والرحمة بين الزوجين فعل إلهي، قال تعالى {وجعل بينكم مودة ورحمة} (الروم: ٢١) وما دلالة هذا؟

إن من دلالاته أن الله تعالى يريد لهذه العلاقة أن تقوم، وأن تستمر؛ سكنا للزوج، وسكنا للزوجة، ورحمة ومودة متبادلة، ومراعاة للحقوق، وتحقيقا للوفاء لذلك تولاها الله بنفسه وأنشأها جعلاً إلهياً خالصا.

٥- الزوج لباس للزوجة والزوجة لباس للزوج، قال تعالى {هن لباس لكم وأنتم لباس لهن} (البقرة: ١٨٧) هل في هذا التعبير من جمال أو فوائد؟! الجواب: نعم، بلا شك، فهو تعبير يوحي بأن كلا منهما حريص على الآخر كما يحرص المرء على لباسه، ولنا أن نسأل هنا: ما وظيفة اللباس؟ إذا تدبرنا وجدنا أن وظيفته تتلخص في ثلاثة أمور: الحماية، والستر، وإبراز الحسن. فكأن القرآن يريد أن يقول لنا: إن الرجل حماية لزوجته من الرياح الهوج، ومن أتربة الحياة، وزعازع الدهر، وأنواء الزمان، وكذلك المرأة حماية لزوجها في أسراره وماله وأولاده وعرضه وشرفه، وإن كلا منهما يجب أن يكون سترا على الآخر، فلا يبرز عيوبه إلا على سبيل الإصلاح والتجويد والتحسين، لا من باب التشهير والتجريح والإساءة، فإن هذا يتعارض مع هذا التعبير اللطيف.

٦- الزوجات حرث للأزواج، قال تعالى {نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم...} (البقرة: ٢٢٣) فكلمة الحرث تجعل الزواج رمزا للنماء والبركة لا وسيلة للفقر كما يصوره المفلسون، وهو معنى صرح به القرآن، واستخدام القرآن لكلمة الحرث تعبيرا

عن الزواج استخدام بديع غير مسبوق، يجعل الخير المتوقع من الزواج كالخير المنتظر من الأرض التي لا قوام للحياة إلا بما تخرجه من زرع.

٧- الزواج ميثاق غليظ، قال تعالى {وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا. وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا} (النساء: ٢٠-٢١).

ولم أجد في الإسلام عقدا سمي ميثاقا، ثم وصفته النصوص بأنه غليظ سوى ميثاق الزواج، وكان كافيا أن يصف القرآن عقد الزواج بأنه ميثاق وعهد، فالميثاق كلمة فيها من القوة والتشابك ما يحول بينها وبين التفكك أو التحلل.

****

أما مقاصد سور القرآن الكريم بما هي نوع من أنواع التفسير المقاصدي الخاص فهو "**نوع من أنواع التفسير المقاصدي يبحث في أهداف وغايات السورة الواحدة، مع الكشف عن وجه الإفادة منها لتحقيق مصلحة العباد في العاجل والآجل**".

فقد يكون لها مقصد أكبر ثم غايات وأهداف كبيرة تنتهي إلى هذا المقصد الأكبر، ثم أجزاء وموضوعات داخل السورة لها هي الأخرى أهداف وغايات تنتهي أو تصب في أهداف السورة العليا.

وهو نوع يتطلب القراءة المتأنية للسورة، والتدبر العميق فيها، ولملمة أطراف موضوعاتها، والتفحص في موضوعاتها جميعا، والنظر في أهداف كل موضوع، ثم التأمل في النهاية لاستخلاص المقصد الأكبر من السورة، وهو – على أي حال – نوع اجتهادي تلمُّسيٌّ يأتي عبر مسالك وطرق للوقوف عليها، وتدور أغلبها حول التدبر والتأمل من خلال توفير المقومات التي سنتحدث عنها في مبحث تالٍ.

وقد برع في هذا النوع من التفسير عدد من العلماء، منهم: محمد عبد الله دراز، وسيد قطب، ومحمد الغزالي.

فالعلامة محمد عبد الله دراز له إشارات مهمة في كتابه: "مدخل إلى القرآن الكريم"، وهو أميل إلى المقاصد العامة للقرآن الكريم؛ حيث رأى أن القرآن يدور حول ثلاثة جوانب: الحق أو العنصر الديني، والخير أو العنصر الأخلاقي، والجمال أو العنصر الأدبي.. أما كتابه "النبأ العظيم" فهو تفسير موضوعي مقاصدي لسورة البقرة بل أول تفسير موضوعي لسورة كاملة، بين فيه محاور سورة البقرة والغايات التي ترمي إلى تحقيقها، ولعله أول تجربة في التفسير الموضوعي للسورة والكشف عن غاياتها.

والأستاذ الشهيد سيد قطب برع براعة منقطعة النظير في هذا، فهو قبل بداية التفسير التفصيلي لآيات السورة يرسم لنا لوحة جمالية لها، يبين فيها الهدف الأساس والمقصد الأسمى للسورة، فهذه سورة محور الحديث فيها عن وحدانية الله، وتلك تدور حول الوحي، وهذه حول اليوم الآخر، وتلك عن العقيدة، وهذه حول قيم أخلاقية تريد السورة أن ترسخها في الجماعة المؤمنة، وتلك عن الآداب الاجتماعية .. الخ.

وأما الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي فقد قدم محاولة طيبة عن هذا النوع من التفسير، وهو كتابه: "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم"، قال في مقدمته عن التفسير الموضوعي للسورة: إنه "يتناول السورة كلها يحاول رسم صورة شمسية لها تتناول أولها وآخرها، وتتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها، وتجعل أولها تمهيدا لآخرها، وآخرها تصديقا لأولها ... إنني أختار من الآيات ما يبرز ملامح السورة، وأترك غيرها للقارئ يضمها إلى السياق المشابه؛ وذلك حتى لا يطول العرض ويتشتت"([١٢]).

***

أما المقاصد التفصيلية لألفاظ القرآن الكريم فهي مبثوثة في أغلب تفاسير القرآن الكريم مع التفسير الموضعي أو التفصيلي لكلمات القرآن الكريم، يسير المفسر مع الألفاظ مبينا معناها، وكاشفا عن غايتها والمقصود منها.

([١٢]) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم: ٥-٦. محمد الغزالي. دار الشروق. القاهرة. الطبعة الرابعة. ١٤٢٠هـ. ٢٠٠٠م.

*****

المطلب الثاني: علاقة التفسير المقاصدي بأنواع التفسير:

تناول المفسرون القرآن الكريم بالبيان والتفسير عبر مناهج لهم وطرق هي أنواع التفسير، وهي أربعة: التفسير التحليلي، والتفسير الإجمالي، والتفسير الموضوعي، والتفسير المقارن([١٣]).

أما التفسير التحليلي : فيتولى فيه المفسرون بيان معنى الألفاظ في الآية، وبلاغة التركيب والنظم، وأسباب النزول، واختلاف المفسرين في الآية، ويذكر حكم الآية وأحكامها، وقد يزيد بتفصيل أقوال العلماء في مسألة فقهية أو نحوية أو بلاغية، ويهتم بذكر الروابط بين الآيات والمناسبات بين السور ونحو ذلك.

وأما التفسير الإجمالي : فهو بيان الآيات القرآنية بالتعرض لمعانيها إجمالاً مع بيان غريب الألفاظ والربط بين المعاني في الآيات متوخياً في عرضها وضعها في إطار من العبارات التي يصوغها من لفظه ليسهل فهمها وتتضح مقاصدها، وقد يضيف ما تدعو الضرورة إليه من سبب نزول أو قصة أو حديث ونحو ذلك.

وأما التفسير المقارن : فهو بيان الآيات القرآنية باستعراض ما كتبه المفسرون في الآية أو مجموعة الآيات المترابطة، والموازنة بين آرائهم ، وعرض استدلالاتهم ، والكرّ على القول المرجوح بالنقض وبيان وجهه ، وتوجيه أدلته ، وبيان الراجح وحشد الأدلة وغير ذلك.

([١٣]) راجع في هذه الأنواع وتعريفها: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: ٩، وما بعدها للشيخين أحمد الكومي ومحمد قاسم. الطبعة الأولى. ١٤٠٢هـ. ١٩٨٢م، والمدخل إلى التفسير الموضوعي: ١٦-١٨. لشيخنا الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد، والبداية في التفسير الموضوعي: ١٥، وما بعدها. د. عبد الحي الفرماوي. الطبعة الثانية. ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، و مقدمة في التفسير الموضوعي. محمد بن عبدالعزيز الخضيري. مقال على موقع صيد الفوائد.

وأما التفسير الموضوعي : فهو: علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر..

وتتجلى الحاجة إلى التفسير المقاصدي مع كل هذه الأنواع؛ فالتفسير التفصيلي يبحث في معاني الألفاظ ومراميها والمقصود منها، وارتباطه بالتفسير المقاصدي ظاهر، والتفسير الإجمالي يبين معاني السورة إجمالا وهو مرتبط بالتفسير المقاصدي كذلك، وأما التفسير المقارن، فهو يعرض أقوال المفسرين في الآية أو الجزء من الآية ثم يبين مرجوحها من راجحها، وضعيفها من قويها، ولن يتأسس ذلك إلا على أساس الفهم المقاصدي للآية أو الجزء منها، وأما التفسير الموضوعي فهو يتناول موضوع السورة أو موضوعا يتتبعه في آيات القرآن جميعا، والهدف منه هو الكشف عن مقاصد القرآن الكريم من موضوع السورة أو موضوع ما في طول القرآن الكريم وعرضه.

وهكذا يتضح لنا أن الفهم المقاصدي للقرآن الكريم أو لسوره أو موضوعاته لا غنى لأي نوع من أنواع التفسير عنه، ولا ينفك عنه المفسر أبدا في أي منهج يتبعه للتعامل مع القرآن الكريم، وهذا يشير إلى محورية المقاصد وضروريتها وأوَّليتها لدى المفسر حين ينظر في القرآن العظيم بمناهج تفسيره جميعا.

المبحث الثالث: مقومات التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم:

لكي يتأهل المفسر للنظر المقاصدي في القرآن الكريم بنوعيه: العام والخاص، فلابد أن يحوز عددا من المقومات التي تمكنه من هذا النوع من النظر في القرآن الكريم، ومن هذه المقومات:

أولا: فهم اللغة العربية وآدابها:

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وكذلك السنة النبوية التي تولت تفصيله وبيانه، فمن لم يتفقه في اللغة العربية بألفاظها وأساليبها، ودلالاتها، واستعمالات العرب لها لم يكن على بصيرة بالوقوف على مرامي الألفاظ ومعانيها، ولعلها خطوة أولى ومقوم أساس وضروري لأي تعامل مع القرآن؛ فضلا عن التعامل المقاصدي.

قال الإمام الشافعي بعدما تحدث عن لسان العرب وأهميته: "وإنما بدأتُ بما وصفت من أن القران نزل بلسان العرب دون غيره؛ لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرقها، ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها"([١٤]).

ويبين الإمام الشاطبي أهمية العلم بالعربية لفقه الشريعة – والقرآن هو عماد الشريعة وأصل أصولها ومصدر مصادرها – فيتحدث عن عربية الشريعة قائل: "وإذا كانت عربية فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم؛ لأنهما سيان في النمط ما عدا وجوه الإعجاز، فإذا فرضنا مبتدئًا في فهم العربية فهو مبتدئ في فهم الشريعة، أو متوسطا؛ فهو متوسط في فهم الشريعة والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية، فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة؛ فكان فهمه فيها حجة كما كان فهم الصحابة وغيرهم من الفصحاء الذين فهموا القرآن حجة، فمن لم يبلغ شأوهم؛ فقد نقصه من فهم الشريعة بمقدار التقصير عنهم، وكل من قصر فهمه لم يعد

([١٤]) الرسالة: فقرة رقم (١٦٩).

حجة، ولا كان قوله فيها مقبولًا، فلا بد من أن يبلغ في العربية مبلغ الأئمة فيها؛ كالخليل، وسيبويه، والأخفش، والجرمي، والمازني ومن سواهم"([١٥]).

وقال الشافعي مبينا الأوجه التي يجري عليها كلام العرب وأهمية ذلك: فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر، ويستغني بأول هذا منه عن آخره، وعاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه، وعاما ظاهرا يراد به الخاص، وظاهر يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره، فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره (١٧٤) وتبتدئ الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله (١٧٥) وتكلم بالشيء تعرفه بالمعنى دون الإيضاح باللفظ كما تعرف الاشارة ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها لانفراد أهل علمها به دون أهل جهالتها (١٧٦) وتسمي الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة، وتسمي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة ([١٦]).

وقال الشاطبي في هذا المعنى: فالعرب قد تطلق ألفاظ العموم بحسب ما قصدت تعميمه مما يدل عليه معنى الكلام خاصة، دون ما تدل عليه تلك الألفاظ بحسب الوضع الإفرادي، كما أنها أيضًا تطلقها وتقصد بها تعميم ما تدل عليه في أصل الوضع، وكل ذلك مما يدل عليه مقتضى الحال؛ فإن المتكلم قد يأتي بلفظ عموم مما يشمل بحسب الوضع نفسه وغيره، وهو لا يريد نفسه ولا يريد أنه داخل في مقتضى العموم، وكذلك قد يقصد بالعموم صنفًا مما يصلح اللفظ له في أصل الوضع، دون

([١٥]) الموافقات: ٥/ ٥٣. أبو إسحاق الشاطبي. تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفان الطبعة : الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

([١٦]) الرسالة: فقرات (١٧٣-١٧٦).

غيره من الأصناف، كما أنه قد يقصد ذكر البعض في لفظ١ العموم، ومراده من ذكر البعض الجميع([١٧]).

وذكر الإمام الشاطبي أن الصحابة يترجح الاعتماد عليهم في البيان لسببين: أحدهما: معرفتهم باللسان العربي؛ فإنهم عرب فصحاء، لم تتغير ألسنتهم ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم؛ فهم أعرف في فهم الكتاب والسنة من غيرهم، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان؛ صح اعتماده من هذه الجهة([١٨]).

كما تحدث عن ما تقرر من أمية الشريعة، وأنها جارية على مذاهب أهلها وهم العرب، وما ينبني على ذلك من قواعد، وذكر منها: أنه لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثم عرف، فلا يصح أن يجرى في فهمها على ما لا تعرفه .. وهذا جارٍ في المعاني والألفاظ والأساليب([١٩]).

وتحدث أيضا عن العلوم المضافة إلى القرآن تنقسم على أقسام: قسم هو كالأداة لفهمه واستخراج ما فيه من الفوائد، والمعين على معرفة مراد الله تعالى منه؛ وذكر منها علوم اللغة العربية التي لا بد منها([٢٠]).

والمطلوب من الفقه بالعربية هو مجمل العلم باللسان العربي، قال الشاطبي: "ولا أعني بذلك النحو وحده، ولا التصريف وحده، ولا اللغة، ولا علم المعاني، ولا غير ذلك

([١٧]) الموافقات للشاطبي: ٤/ ١٩-٢٠.

([١٨]) الموافقات: ٤/ ١٢٨. والثاني: مباشرتهم للوقائع والنوازل، وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة؛ فهم أقعد في فهم القرائن الحالية٢ وأعرف بأسباب التنزيل، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

([١٩]) الموافقات: ٢/ ١٣١.

([٢٠]) الموافقات: ٤/ ١٩٨.

من أنواع العلوم المتعلقة باللسان، بل المراد جملة علم اللسان ألفاظ أو معاني كيف تصورت"([٢١]).

كل هذه الأقوال تدلنا دلالة واضحة على ضرورية فهم اللغة العربية ولسان العرب، وأساليبهم واستعمالاتهم للألفاظ والعبارات ودلالاتها سبيلا لفهم القرآن الكريم والوقوف على أسراره وقيمه ومعانيه ومقاصده.

والناظر في تاريخنا التفسيري والفقهي والأصولي بل في تاريخ الإسلام كله لن تستوعب ذاكرته ممن خدم الأمة وجدد العلوم والدين، وبقي علمُه نافعا للأمة، وقادرا على استيعاب مفاهيم الإسلام ومبادئه ومقاصده وتصوراته، وأكثر قدرة على التعبير عن هذا كله – إلا من كان عالما باللغة العربية وآدابها، فما من عالم يصدق عليه الوصف السابق إلا كان له من العربية وآدابها أكبر الحظ وأوفر النصيب.

فهذا الإمام الشافعي مجدد الإسلام في المائة الثالثة، وهذا الإمام ابن تيمية، والإمام ابن القيم، والإمام عز الدين بن عبد السلام، والإمام القرافي، والإمام ابن حزم، والإمام الشاطبي، والإمام المقري، والإمام ابن دقيق العيد، وغيرهم كثير.

ومن المعاصرين: أبو الحسن الندوي، وسيد قطب، وعبد الرحمن السعدي، والبشير الإبراهيمي، وسعيد النورسي، وعلي الطنطاوي، ومحمد بن الصالح العثيمين، وعبد الستار فتح الله سعيد، ويوسف القرضاوي، ومحمد الغزالي، ومحمد متولي الشعراوي، ومحمد الطاهر بن عاشور، وغيرهم.

كل هؤلاء كانت لهم صولات وجولات مع العربية بفروعها وآدابها، وكان لهم اهتمام بالشعر والنثر، بل إن بعضهم له دواوين شعرية .. فهؤلاء – المهتمين بالعربية وآدابها – هم أبرز العلماء في التعامل مع النص الشرعي، وأقرب الفقهاء للفهم الصحيح، وأقدر المفسرين على التعبير عن حقائق الإسلام ومقاصده ورد أباطيل خصومه!

([٢١])الموافقات: ٥/ ٥٢.

ثانيا: العمل بالقرآن:

العمل دائما مقرون بالإيمان في القرآن الكريم، والآية القرآنية: "الذين آمنوا وعملوا الصالحات...". تكررت في عشرات المواضع في القرآن الكريم، فلا فائدة من إيمان لا يتبعه عمل، ولا أثر لعمل لا ينطلق من إيمان.

والمؤمن العامل المجاهد تتبدى له مساحات ورؤى وأفكار لا تتبدى لغيره من القابعين بين الكتب والأوراق فقط، والجالسين في أبراج عاجية، ومن هنا قال الأستاذ سيد قطب: "حقيقة الإيمان لا يتم تمامها في قلب حتى يتعرض لمجاهدة الناس في أمر هذا الإيمان؛ لأنه يجاهد نفسه كذلك في أثناء مجاهدته للناس؛ وتتفتح له في الإيمان آفاق لم تكن لتتفتح له أبداً وهو قاعد آمن ساكن، وتتبين له حقائق في الناس وفي الحياة لم تكن لتتبين له أبداً بغير هذه الوسيلة، ويبلغ هو بنفسه وبمشاعره وتصوراته وبعاداته وطباعه وانفعالاته واستجاباته، ما لم يكن ليبلغه أبدا بدون هذه التجربة الشاقة العسيرة"([٢٢]).

عن جندب بن عبد الله قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا([٢٣]).

وعن ابن عمر قال: لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدثنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد – صلى الله عليه وسلم – فيتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده فيها كما تعلمون أنتم القرآن، ثم قال لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم

([٢٢]) هذا الدين: ١٢. سيد قطب. دار الشروق. القاهرة. الطبعة السابعة عشرة. ١٤٢٢هـ. ٢٠٠١م.

([٢٣])ابن ماجه في سننه: ١/ ٢٤ حديث رقم: (٦١)، وحزورة جمعها الحَزَاوِرُ، وهي الرَّوابي الصِّغارُ. لسان العرب: ١٤/ ١٧٤. دار صادر. بيروت. بدون تاريخ.

القرآن فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه ينثره نثر الدقل([٢٤]).

قال الإمام ابن تيمية: "هؤلاء هم الذين تلقوا عنه القرآن والسنة وكانوا يتلقون عنه ما في ذلك من العلم والعمل كما قال أبو عبد الرحمن السلمي : لقد حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي – صلى الله عليه وسلم – عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا . وقد قام عبد الله بن عمر – وهو من أصاغر الصحابة – في تعلم البقرة ثماني سنين، وإنما ذلك لأجل الفهم والمعرفة"([٢٥]).

فالقرآن الكريم لن تتفتح أسراره ولا آفاقه ولا معانيه ولا مقاصده وغاياته إلا لمن أخذه جدا، وتمثله حقا، وعمل به أبدا، واستنزل هداياته وتعاليمه في واقعه العملي؛ نورا في القلب، وانشراحا في الصدر، ووضوحا في الرؤية، وسعيًا لعمل الخير ونفع الغير وخير العمل.

ثالثا: تدبر القرآن والعيش معه:

ومن المقومات المهمة التي يجب توافرها للتأهيل للنظر المقاصدي في القرآن الكريم هي تدبر القرآن والعيش معه، فبغير التدبر كيف نفهم؟ وبغير الشعور بهدايات القرآن وآياته وتفسير الواقع بها ولها كيف نستطيع فهم القرآن؟

([٢٤]) رواه الحاكم في مستدركه: ١/ ٩١ حديث رقم: (١٠١). وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في سننه الكبرى: ٣/ ١٢٠ حديث رقم: ٥٠٧٣، والدقل من التَّمر معروف قيل هو أَردأُ أَنواعه. لسان العرب: ١١/ ٢٤٦.

([٢٥]) مجموع الفتاوى: ٥/ ١٥٦. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني. تحقيق : أنور الباز – عامر الجزار. دار الوفاء. المنصورة. الطبعة الثالثة. ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

ولهذا قال الله تعالى مبينا أن الغاية من نزول القرآن هي أن يقرأه الناس، ويتدبره الناس: "كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ {٢٩}. سورة ص.

وقال عز من قائل: "أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً {٨٢}". سورة النساء.

وقال جل شأنه: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا {٢٤}". سورة محمد.

قال الإمام القرطبي: "فالواجب على من خصه الله بحفظ كتابه أن يتلوه حق تلاوته ويتدبر حقائق عبارته ويتفهم عجائبه ويتبين غرائبه قال الله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} . وقال الله تعالى: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}. جعلنا الله ممن يرعاه حق رعايته، ويتدبره حق تدبره، ويقوم بقسطه، ويوفي بشرطه، ولا يلتمس الهدى في غيره، وهدانا لأعلامه الظاهرة وأحكامه القاطعة الباهرة، وجمع لنا به خير الدنيا والآخرة فإنه أهل التقوى وأهل المغفرة"([٢٦]).

ومما يتصل بهذا أيضا أن يقرأ المسلم كتاب الله كأنه يعيش في عصر الرسالة وزمن التنزيل، فإن هذا أدعى للخشوع والتدبر واستيعاب ما يقدر عليه من معان وأسرار، ويعرض كل هذا على عقله وقلبه، وقد سئل الإمام حسن البنا عن أفضل التفاسير وأقرب طرق الفهم لكتاب الله تبارك وتعالى، فكان جوابه: "قلبك"، فقلب المؤمن ولا شك هو أفضل التفاسير لكتاب الله تبارك وتعالى، وأقرب طرائق الفهم؛ أن يقرأ القارئ بتدبر وخشوع، وأن يستلهم الله الرشد والسداد، ويجمع شوارد فكره حين التلاوة، وأن يلم مع ذلك بالسيرة النبوية المطهرة، ويعنى بنوع خاص بأسباب النزول وارتباطها بمواضعها من هذه السيرة، فسيجد في ذلك أكبر العون على الفهم الصحيح السليم .. وإذا قرأ في كتب التفسير بعد ذلك فلِلْوقوف على معنى لفظ دق عليه أو تركيب خفى

([٢٦])الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٢. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي. تحقيق: هشام سمير البخاري. دار عالم الكتب. الرياض. المملكة العربية السعودية. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

أمامه معناه أو استزادة من ثقافة تعينه على الفهم الصحيح لكتاب الله، فهي مساعدات على الفهم، والفهم بعد ذلك إشراق ينقدح ضوؤه في صميم القلب.

ومن وصايا الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده –رحمه الله– لبعض تلامذته: "وأدم قراءة القرآن، وفهم أوامره ونواهيه، ومواعظه وعِبَره كما كان يتلى على المؤمنين أيام الوحى، وحاذر النظر إلى وجوه التفاسير إلا لفهم لفظ غاب عنك مراد العرب منه، أو ارتباط مفرد بآخر خفي عليك متصلُه، ثم اذهب إلى ما يشخصك القرآن إليه، واحمل نفسك على ما يحمل عليه". ولا شك أن من أخذ بهذه الطريقة سيجد أثرها بعد حين في نفسه ملكة تجعل الفهم من سجيته، ونورًا يستضيء به في دنياه وآخرته إن شاء الله([٢٧]).

إن تدبر القرآن الكريم والتعمق في فهمه لهو من أهم طرق الوقوف على مرادات الله من خلقه، ومقاصده من كتابه، فيربط مقاطع السورة بعضها ببعض، فيحاول – كما قال الشيخ الغزالي – رسم صورة شمسية لها تتناول أولها وآخرها، وتتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها، وتجعل أولها تمهيدا لآخرها، وآخرها تصديقا لأولها.

([٢٧]) من تراث الإمام البنا. الكتاب الثاني: التفسير: ٤٧–٤٨. جمعة أمين عبد العزيز. دار الدعوة. الإسكندرية. الطبعة الأولى. ١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥م.

المبحث الرابع: مقاصد التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم:

لكل أمر غاية، ولكل حكم مقصد، وهذا منهج يجب أن يكون منطلقا لكل إنسان في الحياة؛ فضلا عن المسلم، فضلا عن حال المسلم مع كتاب الله تعالى .. وإذا كان هذا هو ما ينبغي أن تكون عليه حال المسلم فمن باب أولى أن يكون هذا حال العالم والمشتغل بكتاب الله تعالى.

وإذا كان للنظر المقاصدي والفهم المقاصدي للإسلام مقومات ينبغي توافرها فيمن يتعرض للقرآن مقاصديًّا، فما مقاصد هذا النوع من التعامل مع القرآن، وما غايات إعمال التفسير المقاصدي للقرآن العظيم؟. هذا ما نحاول رصده في السطور التالية:

أولا: امتثالا لأمر الله تعالى:

إن أول مقصد من التفسير المقاصدي للقرآن الكريم وسوره هو الامتثال لأمر الله تعالى بالتدبر، وقد نقلنا سلفا قوله تعالى: "أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً {٨٢}". سورة النساء. وقوله جل شأنه: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا {٢٤}". سورة محمد. يقول صاحب الظلال في تفسير الآية الأخيرة: "وتدبر القرآن يزيل الغشاوة ، ويفتح النوافذ، ويسكب النور، ويحرك المشاعر، ويستجيش القلوب، ويخلص الضمير. وينشئ حياة للروح تنبض بها وتشرق وتستنير، «أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها؟» فهي تحول بينها وبين القرآن وبينها وبين النور؟ فإن استغلاق قلوبهم كاستغلاق الأقفال التي لا تسمح بالهواء والنور!"([٢٨]).

ثانيا: ترجيحا لأقوال المفسرين:

من مقاصد التفسير المقاصدي للقرآن أو النظر المقاصدي فيه ترجيح الأقوال استنادا إلى المقاصد القرآنية أو مقاصد الشريعة نفسها، وقد يكون الترجيح بناء على مقاصد كلية للقرآن الكريم، أو مقاصد خاصة أو جزئية، ولا يكون هذا الترجيح إلا مع منهج التفسير المقارن.

([٢٨]) في ظلال القرآن: ٦/ ٣٢٩٧. سيد قطب. دار الشروق. القاهرة.

ففي قول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ". سورة النور: ٢٦. تحدث المفسرون: هل المقصود بمن يستأذن البصير والأعمى؟ وما عدد مرات الاستئذان: هل هي ثلاثة أم أقل أم أكثر؟.

والمقصد من الاستئذان في قول الله تعالى: { لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ } هو كون البيوت مسكونة؛ إذ لا يأمن من يدخل عليها بغير استئذان أن يرى عورات الناس ، وما لا يحل النظر إليه، أو ما لا يرغب أهل البيوت أن يراه الزائرون.

يبين الشيخ السايس طبيعة هذا الأدب وكيفيته مستندا إلى مقصد الحكم قائلا: ومن الأدب في الاستئذان أنه إذا وقف المستأذن ينتظر الإذن فلا يستقبل الباب بوجهه ، بل يجعله عن يمينه أو شماله. وكان رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر.. قالوا : لأنّ الدّور لم يكن عليها حينئذ ستور. ولكن ينبغي أن يكون الأمر كذلك في الدور الآن ، ولو كانت مغلقة الأبواب عند الاستئذان ، فإنّ الطارق إذا استقبلها فقد يقع نظره عند الفتح له على ما لا يجوز ، أو ما يكره أهل البيت اطلاعه عليه([٢٩]).

وهل هذا الحكم في حق البصير دون الأعمى؟ قال الشيخ السايس: وظاهر الآية أنّ الاستئذان واجب على كلّ طارق ، ولو كان أعمى ، وبذلك قال العلماء ، لأنّ من عورات البيوت ما يدرك بالسمع ، ففي دخول مكفوف البصر على أهل بيت بغير إذنهم إيذاء لهم. فأما ما رواه الشيخان من قوله صلّى اللّه عليه وسلّم : «إنما جعل الاستئذان من أجل النّظر» ([٣٠]). فهو جار على الغالب ، وليس الحصر فيه على

([٢٩]) تفسير آيات الأحكام: ٣/ ١٥٤-١٥٥. شرح الشيخ محمد علي السايس. وتحقيق طه عبد الرؤوف سعد. المكتبة الأزهرية للتراث. ٢٠٠٠م ، والحديث رواه أبو داود في السنن (٤/ ٣٨٦) ، كتاب الأدب ، باب كم مرة يسلم حديث رقم (٥١٨٦).

([٣٠])رواه مسلم في الصحيح (٣/ ١٦٩٨) ، كتاب الآداب ، باب تحريم النظر حديث رقم (٤٠/ ٢١٥٦) ، والبخاري في الصحيح (٧/ ١٦٨) ، ٧٩ – كتاب الاستئذان ، باب الاستئذان حديث رقم (٦٢٤١).

سبيل التحقيق ، بل هو حصر ادعائي مبني على المبالغة ، وكمال العناية بالحث على حفظ النظر ، وسياق القصة التي قال فيها النبي صلّى اللّه عليه وسلّم ذلك يدلّ على ما ذكرناه ، فقد روى سهل بن سعد أنّه اطلع رجل في حجرة من حجر النبي صلّى اللّه عليه وسلّم، ومع النبي مدرى يحكّ بها رأسه فقال: «لو أعلم أنّك تنظر لطعنت بها في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل النّظر» وإذا كان الأمر كذلك ، وكان القصد المبالغة والتشديد على ذلك الرجل الذي كان يطّلع على حجرة النبي صلّى اللّه عليه وسلّم علم الغرض من ذلك الحصر، ولم يكن في الحديث حينئذ دلالة على نفي أنه قد يكون الاستئذان من أجل السمع. فالمقصود إفادة أنّ النظر من أقوى الأسباب التي شرع لها الاستئذان([٣١]).

وأما عن عدد مرات الاستئذان فقال: "وظاهر الآية أنّ الاستئذان غير مقيّد بعدد، فإن استأذن مرة فأجيب بالإذن دخل، وإن أجيب بالرد رجع، وإن لم يجب فلا عليه أن يرجع. وقال بعض العلماء: إنّ الاستئذان ثلاث مرات، فمن لم يؤذن له بعدهن فليرجع، إلا إذا أيقن أنّ من في البيت لم يسمع، فإنّه يجوز له الزيادة على الثلاث. والحكمة في هذا العدد أنّ المرة الأولى لإسماع من في البيت، والثانية : ليتهيؤوا، والثالثة: ليأذنوا، أو يردوا([٣٢]).

وهل الاستئذان مقصور على الرجال فقط دون النساء أم أنه يشمل النساء مع الرجال؟ قال الشيخ السايس معتمدا على مقصد الأمر: "وظاهر التعبير في الآية باسم الموصول الخاص بجماعة الذكور أنّ النساء ليس عليهن استئذان ، ولكنّك تعلم أنّ الحكمة التي من أجلها شرع الاستئذان متحققة في الرجال والنساء معا ، ولهذا قال العلماء : إنّ في الآية تغليب الرجال على النساء ، كما هو المعهود في الأوامر والنواهي القرآنية المبدوءة بمثل هذا النداء، وعلى هذا يكون على المرأة إذا أرادت أن

([٣١])تفسير آيات الأحكام: ٣/ ١٥٥.

([٣٢])تفسير آيات الأحكام: ٣/ ١٥٤.

تدخل بيت غيرها أن تستأذن قبل الدخول. فإنّ الناس قد يكرهون أن يطلع بعض النساء على بيوتهم ، ويظهرن على ما فيها من أسراره([٣٣]).

فأنت ترى في مثال واحد فقط كيف كان النظر المقاصدي في القرآن الكريم هو عماد القول، وأساس الترجيح، سواء في طبيعة الأدب الذي هو الحكم، أو في عدد أفراده وطبيعتهم رجالا ونساء، أو في عدد مرات الاستئذان، أو كان المستأذن بصيرا أو أعمى .. كل هذا ترجح القول فيه بل حُسم استنادا إلى المقاصد، وهو منهج يستخدم في مناهج التفسير جميعا.

ثالثا: استبعادًا لما لا فائدة فيه:

وهذا مقصد مهم نستفيده من التفسير المقاصدي للقرآن الكريم وسوره، فكثيرا ما يختلف المفسرون في تأويل آية من الآيات، ويقفون عند أشياء ما كان أغناهم عنها، ولو توقفوا عند حدود ما اهتم به القرآن لما خاضوا في بعض ما خاضوا فيه.

وهذا هو منهج القرآن ومنهج الإسلام، وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم، كانوا دائما لا يهتمون بما ليس تحته عمل، وقد كان أئمتنا وفقهاؤنا كذلك، فإمام دار الهجرة مالك بن أنس كان يكره الكلام فيما ليس تحته عمل، ويحكي كراهيته عمن تقدم.

ففي سورة النمل قال تعالى: "وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ". آية رقم: ١٧. هل هناك داع هنا للخلاف حول عدد الجيش الذي سخره الله تعالى لسليمان؟ أم أنه يكفينا أن نعلم أن الله – تعالى – قد سخر لسليمان جندا من الجن والإنس والطير ، إلا أن عدد هؤلاء الجنود مرد علمه إلى الله – تعالى– وحده، وإن كان التعبير القرآني يشعر بأن هؤلاء الجند المجموعين ، يمثلون مركبا عظيما، وحشدا كبيرا؟.

([٣٣]) تفسير آيات الأحكام: ٣/ ١٥٥.

وفي الآية بعدها قوله تعالى: "حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ". هل نحن بحاجة لمعرفة ما إذا كانت النملة ذكرا أم أنثى؟ أم أنه يكفينا أن نعلم أن الله تعالى أوحى لهذه النملة بقدرته وجعلها سببا في إنقاذ أمتها، وأن الله تعالى علم سليمان منطق هذه الحشرات، وتعامل معها بما علمه الله تعالى إياه؟. ولهذا قال الشوكاني في فتح القدير: "ولا يتعلق بمثل هذا كثير فائدة، ولا بالتعرّض لاسم النملة، ولما ذكر من القصص الموضوعة، والأحاديث المكذوبة"([٣٤]).

وفي وجوه عدم استحسان الخوض فيما ليس تحته عمل يقول الشاطبي: وبيان عدم الاستحسان فيه من أوجه متعددة:

– منها : أنه شغل عما يعني من أمر التكليف الذي طوقه المكلف بما لا يعني، إذ لا ينبني على ذلك فائدة؛ لا في الدنيا، ولا في الآخرة، أما في الآخرة؛ فإنه يسأل عما أمر به أو نهي عنه، وأما في الدنيا؛ فإن علمه بما علم من ذلك لا يزيده في تدبير رزقه ولا ينقصه...

– ومنها : أن الشرع قد جاء ببيان ما تصلح به أحوال العبد في الدنيا والآخرة على أتم الوجوه وأكملها، فما خرج عن ذلك قد يظن أنه على خلاف ذلك، وهو مشاهد في التجربة العادية؛ فإن عامة المشتغلين بالعلوم التي لا تتعلق بها ثمرة تكليفية تدخل عليهم فيها الفتنة والخروج عن الصراط المستقيم...

– ومنها : أن تتبع النظر في كل شيء وتطلب عمله من شأن الفلاسفة الذين يتبرأ المسلمون منهم، ولم يكونوا كذلك إلا بتعلقهم بما يخالف السنة؛ فاتباعهم في نحلة هذا شأنها خطأ عظيم، وانحراف عن الجادة.. ووجوه عدم الاستحسان كثيرة([٣٥]).

([٣٤]) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: ١٠٧٥. محمد بن علي الشوكاني. دار المعرفة. بيروت. الطبعة الرابعة. ١٤٢٨هـ. ٢٠٠٧م.

([٣٥]) الموافقات: ١/ ٥٣-٥٤.

ولقد كنت في إيطاليا في أحد المراكز الإسلامية شتاء عام ٢٠٠٩م. وتحدثت في إحدى المحاضرات التي استغرقت ساعتين مع أسئلة الناس، تحدثت عن: قيمة القرآن في حياتنا وكيف نتعامل معه، وبينت أن القرآن الكريم كان له تأثيره وسحره في الكافرين، فضلا عن المؤمنين، بل إن هذا القرآن كان له أثره في الجماد: " لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ". سورة الحشر: ٢١.

وذكرت – ضمن ما ذكرت – أن تأثير القرآن تعدى عالم الإنس وعالم الجماد حتى وصل تأثيره إلى عالم الجن حين صرفهم الله تعالى لرسوله – صلى الله عليه وسلم – فقال: "وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ". سورة الأحقاف: ٢٩.

وهكذا أخذت أبين أثر القرآن في عوالم شتى، فأين نحن من القرآن؟ وحين جاء دور الأسئلة، سأل سائل فقال: كم استغرقت المسافة التي وصل فيها الجن من الرسول إلى قومهم؟!!

وأُسقط في يدي فلم أستطع أن أعرف كيف أجيبه، وأصابتني حالة من الذهول والإحباط أخرستني عن أن أنطق بشيء، وبعد برهة بينت بلطف أن هذا مما لم يهتم به القرآن، وأولى بالمسلم حين يتعامل مع القرآن أن يهتم بما اهتم به القرآن، ولو كان فيه فائدة لذكره.

رابعًا: فهم السورة وتيسير حفظها:

من مقاصد التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم فهم السورة واستيعابها وتيسير حفظها، فمن تأمل في السورة بموضوعاتها التي تصب في موضوع واحد وغاية واحدة لم يكن من الصعب عليه أن يقف أمامه معنى، أو يتأبَّى عليه فهم موضوع من موضوعاتها، وأسرار إيراده .. إنه سيسلك موضوعات السورة جميعا – بلا تعسف – إلى هدفها الكبير الذي تشير إليه كل موضوعات السورة .. ومن ثم يمكنه أن يعبر عن السورة دعويًّا وإصلاحيًّا في مجتمعه وبين الناس.

كما أن الذي ينظر للسورة نظرا مقاصديًّا يسهل عليه حفظها، ويتيسر عليه التعامل معها، فمن يقرأ ما كتبه صاحب الظلال قبل كل سورة سيشعر أنه استوعب السورة بل هضمها كما تهضم المعدة الطعام؛ ذلك، أن الفهم المقاصدي للسورة يعطي صورة شاملة للإنسان عن السورة، وييسر على عقله تصور موضوعاتها وصلة كل موضوع بالآخر، وكيف تقيم هذه الموضوعات وحدة بنائية أو موضوعية للسورة كلها، وهذا مما ييسر الفهم والاستيعاب والحفظ.

***

هذه من أهم المقاصد التي نجنيها من التعامل المقاصدي والنظر المقاصدي في القرآن الكريم، ولعل هناك مقاصد أخرى نستطيع الوقوف عليها عبر التأمل والتدبر والنظر المتأني لهذا الموضوع.

المبحث الخامس: تطبيقات عملية للتفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم من خلال "في ظلال القرآن" لسيد قطب.

يحتل الفهم المقاصدي والتفسير المقاصدي والاهتمام بالفكر المقاصدي مساحة واسعة ومكانة كبيرة عند المفسر الشهيد الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى، وحسبنا أن رسالة دكتوراه تحدثت عن هذا الجانب عنده([٣٦]).

فسيد قطب في ظلاله يتحدث عن أنواع المقاصد القرآنية جميعا، فهو يتحدث عن مقاصد القرآن وغاياته التي يريد أن يبثها في المؤمنين، ويرسخها في المسلمين، ويبين آدابه وتصوراته وكلياته وقيمه وموازينه التي يريد القرآن أن يبثها في الحياة والأحياء.

يقول عن مقاصد القرآن العامة: "تسلَّم الإسلام القيادة بهذا القرآن، وبالتصور الجديد الذي جاء به القرآن ، وبالشريعة المستمدة من هذا التصور .. فكان ذلك مولدا جديدا للإنسان أعظم في حقيقته من المولد الذي كانت به نشأته. لقد أنشأ هذا القرآن للبشرية تصورا جديدا عن الوجود والحياة والقيم والنظم كما حقق لها واقعا اجتماعيا فريدا، كان يعز على خيالها تصوره مجرد تصور، قبل أن ينشئه لها القرآن إنشاء .. نعم! لقد كان هذا الواقع من النظافة والجمال، والعظمة والارتفاع، والبساطة واليسر، والواقعية والإيجابية، والتوازن والتناسق ... بحيث لا يخطر للبشرية على بال، لولا أن اللّه أراده لها، وحققه في حياتها .. في ظلال القرآن، ومنهج القرآن، وشريعة القرآن"([٣٧]).

ويقول أيضا: "إن نصوص القرآن لتسكب في قلب المؤمن من الإيناس، وتفتح له من أبواب المعرفة، وتفيض فيه من الإيحاءات والمشاعر ما لا يكون بغير الإيمان. ومن ثم يجد فيه الهدى، كما يستروح فيه البشرى. وكذلك نجد القرآن يكرر هذه الحقيقة في مناسبات شتى

([٣٦]) مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سيد قطب. نصير زروق. دار السلام. القاهرة. الطبعة الأولى. ١٤٣٠هـ. ٢٠٠٩م.

([٣٧]) في ظلال القرآن: ١/ ١٦.

.. «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» .. «هدى» لقوم يؤمنون» .. «هدى لقوم يوقنون» .. «شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ». فالهدى ثمرة الإيمان والتقوى واليقين"([٣٨]).

هذ كلها من مقاصد القرآن الكبرى: أن ينشئ للبشرية تصورا جديدا عن الوجود والحياة والقيم والنظم كما أن من مقاصده الكلية أن حقق للبشرية واقعا اجتماعيا فريدا، كان يعز على خيالها تصوره مجرد تصور، قبل أن ينشئه لها القرآن إنشاء، ويُحْدث الهدى والسكينة والإيناس للمتقين المؤمنين.

ويتحدث الظلال عن المقاصد الخاصة، فيرسخ نظرة القرآن للمرأة، ونظرته للرجل، ونظرته للحكم، ونطرته للجوانب العقدية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية .. الخ.

يقول مثلا عن المرأة مقارنا وضعها في الجاهلية بمكانتها في الإسلام: "ولقد كانت المرأة في الجاهلية تلاقي من العنت ما يتفق وغلظ الجاهلية وانحرافها. كانت تلقى هذا العنت طفلة توأد في بعض الأحيان ، أو تعيش في هون ومشقة وإذلال! وكانت تلقاه زوجة هي قطعة من المتاع للرجل ، أغلى منها الناقة والفرس وأعز! وكانت تلقاه مطلقة. تعضل فتمنع من الزواج حتى يسمح مطلقها ويأذن! أو يعضلها أهلها دون العودة إلى مطلقها ، إن أرادا أن يتراجعا .. وكانت النظرة إليها بصفة عامة نظرة هابطة زرية شأنها في هذا شأن سائر الجاهليات السائدة في الأرض في ذلك الأوان.. ثم جاء الإسلام .. جاء ينسم على حياة المرأة هذه النسمات الرخية التي نرى هنا نماذج منها. وجاء يرفع النظرة إليها فيقرر أنها والرجل نفس واحدة من خلقة بارئها .. وجاء يرتفع بالعلاقات الزوجية إلى مرتبة العبادة عند الإحسان فيها .. هذا ولم تطلب المرأة شيئا من هذا ولا كانت تعرفه. ولم يطلب الرجل شيئا من هذا ولا كان يتصوره. إنما هي الكرامة التي أفاضها اللّه من رحمته للجنسين جميعا ، على الحياة الإنسانية جميعا"([٣٩]).

ويتحدث عن مقاصد السور، وهو ما برع فيه الرجل كما لم يبرع أحد من قبله؛ حيث إن من أهم ما يميز تفسير الظلال أنه يرسم لنا صورة شمسية عن السورة، ويطوف بك

([٣٨]) في ظلال القرآن: ١/ ٩٣.

([٣٩]) في ظلال القرآن: ١/ ٢٥١.

حولها تطواف الواثق الخبير المستوعب لما ترمي إليه السورة من غايات ومقاصد، وليس لهذا تفسير إلا أنه عاش مع النص القرآني مباشرة

يقول أستاذنا الدكتور محمد شريف : "لقد شاء الشهيد أن يكون مرجعه الأول والأخير هو القرآن الكريم ، وتأثيره في نفسه ، وكم كان للمفسرين من مراجع وبحوث حجبت عنهم سحر القرآن ، وتأثيره في نفوسهم ، وهدايته لقلوبهم ، ولكن الشهيد لم يشأ أن يكون واحدًا من هؤلاء الذين تنطفئ ضياء الكلمة القرآنية بين ما يقدمونه للناس من بحوث واهتمامات تحجب عنهم هدى الله ، وروحانية القرآن"([٤٠]).

ومنهجه في التعامل مع السورة أنه يحدد هدفها العام ومقصدها الرئيس وموضوعها الأساس ثم يقسمها إلى مقطوعات أو كما يسميها هو "أشواط". يقول: "إن لكل سورة من سوره شخصية مميزة ! شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس ، ولها موضوع رئيسي أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص ... وهذا طابع عام في سور القرآن جميعًا ، ولا يشذ عن هذه القاعدة طوال السور"([٤١]).

وقد يتسع إطار هذه الوحدة ، أو الموضوع الرئيس عند الشهيد ليشمل مجموعة من السور المتتابعة يضمها جزء واحد([٤٢]) ، نجد ذلك جليًا في الجزء الأخير من القرآن، يقول الشهيد: "هذا الجزء كله ذو طابع عام .... إنها طرقات متوالية على الحس، طرقات عنيفة قوية عالية، وصيحات بنوّم غارقين في النوم! نومهم ثقيل ... تتوالى على حسهم تلك الطرقات والصيحات المنبثقة من سور هذا الجزء كله بإيقاع واحد ونذير واحد: اصحوا. استيقظوا. انظروا. تلفتوا. تفكروا. تدبروا... وهكذا مرة أخرى، وثالثة، ورابعة، وخامسة، وعاشرة ... ومع الطرقات والصيحات يدٌ قوية تهز النائمين المخمورين السادرين هزًّا عنيفًا،

([٤٠])اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر: ٥٧٤ . د. محمد إبراهيم شريف. دار التراث. القاهرة. الطبعة الأولى. ١٤٠٢هـ، وقد عقد الدكتور فيه مبحثًا عن تفسير الشهيد جدير أن يُنشر منفردًا ليعم به النفع.

([٤١])الظلال: ٢٨/١، وراجع: ١٢٤٣/٣.

([٤٢])اتجاهات التجديد: ٥٨٥.

وهم كأنهم يفتحون أعينهم وينظرون في خمار مرة، ثم يعودون لما كانوا فيه! فتعود اليد القوية تهزهم هزًا عنيفًا، ويعود الصوت العالي يصيح بهم من جديد، وتعود الطرقات العنيفة على الأسماع والقلوب....."([٤٣]).

ويتَّبع الشهيد قاعدة أخرى في تناوله للقرآن ، وهى تقسيم السورة إلى مقاطع أو – على حد تعبيره – أشواط – كما سلفت الإشارة – لكل شوط هدف رئيس، ولا تتخلف القاعدة الأولى هنا([٤٤])– أعنى التقديم للسورة أو الجزء – فهو يقدم كل شوط بمقدمة يبين فيها هدفه الخاص، وموضوعه الرئيس، لكن كل هذه الأهداف التي تضمنتها الأشواط تصب جميعًا في الهدف العام، والمقصد الأساسي الذي تعالجه السورة([٤٥]).

ومن المقومات التي تمتع بها سيد قطب وأهلتْه لهذا النظر المقاصدي في القرآن الكريم وسوره عيشه مع القرآن في تجربته ومحنته المعروفة، و تمكنه من العربية وآدابها، فهو شاعر ناقد عبقري تتلمذ على العقاد وخاض معارك عنيفة في الأدب والنقد على صفحات مجلة الرسالة وغيرها.

وكان لسيد قطب دواوين وروايات([٤٦]) ومؤلفات في الأدب والنقد، فله: "النقد الأدبي أصوله ومناهجه"، وله: "مهمة الشاعر في الحياة"، وله: "ديوان الشاطئ المجهول"، وله: "التصوير الفني في القرآن"، وهو الذي أودع فيه نظريته في التفسير؛ حيث يرى في هذا الكتاب أن التصوير هو الأداة المفضلة والقاعدة الأساسية، والخصيصة الكبرى للتعبير في القرآن بل ويكوِّن مذهبًا مقرَّرًا، وخطة موحدة في أن تلك هي الطريقة التي اختارها القرآن

([٤٣])الظلال: ٦/٣٨٠٠.

([٤٤])اتجاهات التجديد: ٥٨٧.

([٤٥]) راجع بتوسع : في ظلال سيد قطب: ٥٨، وما بعدها. وصفي عاشور أبو زيد. مؤسسة صوت القلم العربي. القاهرة. الطبعة الأولى. ١٤٣٠هـ. ٢٠٠٩م.

([٤٦]) قام الدكتور عبد الباقي حسين بدراسة هذا كله في رسالته للماجستير بعنوان: سيد قطب حياته وأدبه. عبد الباقي محمد حسين. دار الوفاء. المنصورة. الطبعة الأولى. ١٤٠٦هـ. ١٩٨٦م.

للتعبير عن جميع أغراضه فيما عدا غرض التشريع([٤٧]).

وينوه مفسرنا الشهيد بهذه النظرية – نظرية التصوير – ويدعو إلى التوسع في معنى التصوير : "فهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخييل، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل، وكثيرًا ما يشترك الوصف والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور تتملاها العين والأذن، والحس والخيال، والفكر والوجدان"([٤٨]).

وقد أورد الشهيد اثنين وأربعين مثالاً – وأمثلة القرآن أكثر من ذلك – تأييدًا لهذه النظرية، وتدليلاً على ما اكتشفه من أن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن([٤٩]). وقام بتطبيق هذه الفكرة في كتابيه "مشاهد القيامة في القرآن"، و"فى ظلال القرآن".

والحق أن الذي يقرأ للمنظِّرين المبدعين ، المؤصلين المطبقين يجد فجوة واضحة بين النظرية والتطبيق تتفاوت سعتها وضيقها من كاتب لآخر ، لكننا هنا أمام أمر آخر ، فالذي يتصفح الكتابين – في أي موضع شاء – يجد التطبيق والتنظير منطبقين تمام الانطباق ، وهذا يشير إلى ثقافة واسعة ، وخيال واقعي ، وعبقرية فذة.

فمثلاً في "في ظلال القرآن" يطالعنا الشهيد منذ السطور الأولى بتطبيق عملي لنظريته "التي تتجلى في قيام الكلمة مقام الحظ واللون، إذ سرعان ما ترتسم الصور من خلال الكلمات ، ثم سرعان ما تنبض هذه الصور وكأنها تموج بالحياة"([٥٠]).

وقد أثمر هذا المنهج مقاصده عند الرجل فتابع القرآن في منهجه وأسلوبه، وسايره في اهتماماته ومقاصده، فلم يكن يحفل إلا بما حفل به القرآن، ويضرب الذكر صفحا عما لا طائل تحته، ولا فائدة من الانشغال به، ولا أثر يترتب عليه، وهذا موجود في عشرات

([٤٧])التصوير الفني في القرآن لسيد قطب: راجع مثلاً ٩ – ١٠، ١٥ – ٢٣، ١٨٧ – ٢٠٧. دار المعارف. الطبعة الثالثة. بدون تاريخ.

([٤٨])السابق: ٣٥.

([٤٩])السابق : الموضع نفسه ، وما بعده.

([٥٠])الظلال: ٣٧/١.

المواضع من الطلال.

يقول عند حديثه عن قصة آدم وإبليس والشجرة المحرمة والجنة: "أين كان هذا الذي كان؟ وما الجنة التي كان فيها آدم وزوجته حينًا من الزمان؟ ومن هم الملائكة؟ ومن هو إبليس؟ ..كيف قال الله لهم وكيف أجابوه؟...

هذا وأمثاله في القرآن الكريم غيب من الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه، وعلم بحكمته أن لا جدوى للبشر في معرفة كنهه وطبيعته، فلم يهب لهم القدرة على إدراكه والإحاطة به، بالأداة التي وهبهم إياها لخلافة الأرض، وليس من مستلزمات الخلافة أن نطلع على هذا الغيب. وبقدر ما سخر الله للإنسان من النواميس الكونية وعرفه بأسرارها، بقدر ما حجب عنه أسرار الغيب فيما لا جدوى له في معرفته...

فلندع هذا الغيب إذن لصاحبه، وحسبنا ما يقص لنا عنه، بالقدر الذي يَصْلُح لنا في حياتنا، ويُصْلِح سرائرنا ومعاشنا، ولْنأخذ من القصة ما تشير إليه من حقائق كونية وإنسانية، ومن تصور للوجود وارتباطاته، ومن إيحاء بطبيعة الإنسان وقيمه وموازينه... فذلك وحده أنفع للبشرية وأهدى"([٥١]).

ويقول في حديثه عن الرجل الذي "مر على قرية وهى خاوية على عروشها ..." البقرة: ٢٥٩.: "من هو الذي مر على قرية؟ ما هذه القرية التي مر عليها وهي خاوية على عروشها؟ إن القرآن لم يفصح عنها، ولو كانت حكمة النص لا تتحقق إلا بهذا الإفصاح ما أهمله في القرآن ، فلنقف نحن – على طريقتنا في هذه الظلال – عند تلك الظلال"([٥٢]).

وعندما تعرض لابني آدم : قابيل وهابيل لم يورد شيئًا مما أورده غيره من المفسرين ، إنما قال : "ولا يحدد السياق القرآني لا زمانَ ولا مكانَ ولا أسماءَ القصةِ ، وعلى الرغم من ورود بعض الآثار والروايات عن "قابيل وهابيل" وأنهما هما ابنا آدم في هذه القصة، وورود تفصيلات عن القضية بينهما ، والنزاع على أختين لهما ، فإننا نؤثر أن نستبقي القصة –

([٥١])الظلال : ٥٩/١، وراجع: ١٢٧٠/٣. وقارن هذا بما ورد في الطبري: ٢٢٩/١ وما بعدها ، دار الفكر، ١٤٠٥هـ، والقرطبي: ٣٠٢/١ وما بعدها. دار الشعب. الطبعة الثانية، وابن كثير : ٧٩/١.

([٥٢])الظلال: ٢٩٩/١، وقارن ذلك بما في القرطبي مثلاً: ٢٨٤/٣.

كما وردت – مجملة بدون تحديد." ، قال الشهيد: "وبقاء القصة مجملة – كما وردت في سياقها القرآني – يؤدي الغرض من عرضها، ويؤدي الإيحاءات كاملة، ولا تضيف التفصيلات شيئًا إلى هذه الأهداف الأساسية؛ لذلك نقف نحن عند النص العام لا نخصصه ولا نفصله"([٥٣]).

وشاهد آخر في سورة "الفيل" يعرض رأى الأستاذ الإمام محمد عبده حيث يذهب الإمام بالعقل إلى حيث لا ينبغي الذهاب ، فيصف أحجام الطير، ويبين جنسه، وكنه الحجارة التي يرمي بها، ويقرر أن الجدري والحصبة ظهرا في مكة في هذا العام، في الوقت الذي يتخذ فيه الشهيد موقفًا مخالفًا مقتصرًا على ما جاء في السورة رافضًا كل ما جاء من روايات حول الطير والحجارة . يقول : "فنحن أميل إلى اعتبار أن الأمر قد جرى على أساس الخارقة غير المعهودة، وأن الله أرسل طيرًا أبابيل غير المعهودة – وإن لم تكن هناك حاجة إلى قبول الروايات التي تصف أحجام الطير وأشكالها وصفًا مثيرًا، نجد له نظائر في مواضع أخرى تشي بأن عنصر المبالغة والتهويل مضاف إليها! تحمل حجارة غير معهودة تفعل بالأجسام فعلاً غير معهود"([٥٤]).

وهكذا يكتفي الشهيد بما ورد في القرآن من حديث ولا يتعرض لنقد خبر أو قبوله أو رده ؛ لأنه لا يورد شيئًا من ذلك أصلاً إنما يشغل نفسه وفكره بما يقرره القرآن من مبادئ وأصول، وما يرمي إليه من أهداف وغايات ومقاصد، وما يعالجه من علل وأمراض، وما يضعه من حلول للمشكلات وإصلاح للأمم والأفراد، وما يبثه في نفس المؤمن وضميره من مراقبة وخوف وخشية لله في السر والعلن.

([٥٣])الظلال: ٢/٨٧٥.

([٥٤])الظلال: ٦/٣٩٧٧.

خاتمة

تناول هذا البحث المتواضع مفهوم التفسير المقاصدي من خلال تعريف أفراد المركب الوصفي "تفسير"، و"مقاصد"، ثم عرف "التفسير المقاصدي".

وبين البحث أنواع التفسير المقاصدي إلى عام وخاص، ثم كشف عن أهمية التفسير المقاصدي للتعامل مع سائر مناهج المفسرين.

وحدد البحث أهم المقومات التي يجب أن يحوزها المفسر لمي يتأهل لهذا النوع من التعامل مع القرآن، وهي: البراعة في العربية، والعمل بالقرآن، وتدبره والعيش معه.

كما بين البحث أهم المقاصد التي نستفيدها من التعامل المقاصدي مع القرآن، وهي: امتثال أمر الله بالتدبر ومعرفة الأسرار والغايات، الترجيح بين أقوال المفسرين، عدم الاهتمام بما ليس تحته عمل، وأخيرا تيسير فهم السورة وحفظها.

وتعرض البحث لبعض التطبيقات التي تبين كيف حاز سيد قطب مقومات التفسير المقاصدي للقرآن وسوره، فقد برع في اللغة وآدابها، وعاش حياته مع القرآن وللقرآن حتى بذل روحه فداء عقدية القرآن، وتدبر القرآن وتعمق فيه في محنته العظيمة التي كان لها آثارها على هذا التفسير وصاحبه؛ حيث تشعر بتعبيراته الحارة وكلماته النابضة كأنها تحمل روحه ودماءه وتشع بأنواره على من يطالع الطلال.

وقد أثمر توافر هذه المقومات مقاصدها، فها هو يمتثل أمر الله تعالى بتدبر القرآن والعيش معه، وها هو لا يحفل أو يهتم إلا بما حفل به القرآن واهتم به ويترك ما وراء ذلك دون اهتمام أو تفكير؛ حيث لا يكون تحته عمل ولا فائدة، واتضح نمام الوضوح مدى تمكنه من كل سورة بناء على حسن فهمه لمقاصد القرآن العامة، ودلالات ألفاظه وسياقات معانيه.

إن الاهتمام بهذا النوع من التعامل مع سور القرآن الكريم يحتاج إلى مزيد من الاهتمام به وإلقاء الأضواء عليه؛ لما له من أهمية في فهم القرآن واستنزال هداياته في واقع الأفراد والأمة جميعا.

السيرة الذاتية للمؤلف

وصفي عاشور علي أبو زيد

مواليد محافظة كفر الشيخ بجمهورية مصر العربية، ١٣٩٥/٦/١١هـ الموافق: ١٩٧٥/٦/٢٠م.

عنوان المراسلة: wasfy75@gmail.com

المؤهلات والأنشطة:

* يحفظ القرآن الكريم برواية مسندة إلى حفص عن عاصم.

* حصل على درجة الدكتوراه بعنوان: "المقاصد الجزئية وأثرها في الاستدلال الفقهي، دراسة تأصيلية تطبيقية" في يوليو ٢٠١١م بمرتبة الشرف الأولى من كلية دار العلوم جامعة القاهرة، وحصل على ماجستير في الفقه والأصول من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، بتقدير ممتاز، في مارس ٢٠٠٥م، بعنوان: "نظرية الجبر في الفقه الإسلامي، دراسة تأصيلية تطبيقية".

*حصل على "تمهيدي ماجستير" من قسم الشريعة الإسلامية بنفس الكلية والجامعة ١٩٩٨م، كما حصل على ليسانس اللغة العربية والعلوم الإسلامية من نفس الكلية والجامعة ١٩٩٧م.

* حصل على إجازات مسندة في بعض كتب السنة ومصطلح الحديث، مثل: صحيح مسلم، مسند الدارمي، الأربعون النووية، ما لا يسع المحدث جهله، ألفية الحديث للعراقي، المنظومة البيقونية، شرحها للزرقاني، ألفية الحديث للسيوطي، قصيدة غرامي صحيح، شرحها لابن عبد الهادي، كتاب الأربعين في فضائل الصحابة، كتاب الأربعين في فضائل آل البيت، وحصل على إجازة في العلوم الشرعية من فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي.

* كرمته وزارة الأوقاف الكويتية عام ٢٠٠٤م باعتباره أحد الكتاب المتميزين في مجلة الوعي الإسلامي، كما كرمته من خلال المركز العالمي للوسطية أعوام ٢٠٠٨م، ٢٠٠٩، ٢٠١٠، ٢٠١١م، لإلقائه بعض المحاضرات والدورات لوفود الدعاة من البلاد الآسيوية، والإفريقية، والأوربية، وبرنامج علماء المستقبل لجهوده في البرنامج.

* شارك بورقات بحثية في عدد من المؤتمرات الدولية في مصر وقطر والمغرب والجزائر وتونس والكويت وعمان وتركيا.

*عضو عدد من المؤسسات والروابط والاتحادات العلمية العالمية.

*عضو هيئة تحرير في عدد من المجلات العلمية المحكّمة.

* عمل في عدد من المراكز البحثية الفكرية.

* شارك في إعداد معلمة القواعد الفقهية التابعة لمجمع الفقه الإسلامي – جدة، و"مدونة الأسرة" للملكة العربية السعودية (مشروع تقنين كل ما يخص الأسرة في ضوء الفقه الحنبلي والقوانين العربية الوضعية)، و"موسوعة الفقه الإباضي" التي تشرف عليها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في سلطنة عمان.

* نشرت له الصحف والمجلات، والمجلات المحكمة، ومواقع الإنترنت مئات المقالات والحوارات والأبحاث في الفقه والأصول، والفكر والدعوة، والتربية، وشئون الأسرة، وغيرها.

* له عشرات الاستشارات الفقهية والدعوية والإيمانية على موقع إسلام أونلاين، وموقع الإسلام اليوم.

* ألقى عشرات المحاضرات والدورات العلمية في مصر والكويت وتركيا وإيطاليا وألمانيا حول مقاصد الشريعة والفكر المقاصدي وتفعيله في العمل الدعوي والسياسي والمؤسسي.

* كان ضيفا في قنوات فضائية متعددة، منها: قناة الجزيرة مباشر مصر، وقناة الصحة والجمال، وقناة الأقصى، وقناة فلسطين اليوم، وقناة رابعة، وقناة مكملين، وقناة الشرق، وقناة مصر الآن بالإضافة إلى إذاعة القرآن الكريم بالقاهرة، وإذاعة البرنامج الثقافي في برنامج: "تأملات في الأسماء".

* كتب مقدمات لأكثر من عشرة كتب لبعض العلماء والباحثين.

المؤلفات:

١. نظرية الجبر في الفقه الإسلامي، دراسة تأصيلية تطبيقية (رسالة ماجستير).
٢. في ظلال سيد قطب، لمحات من حياته وأعماله ومنهجه التفسيري.
٣. الحرية الدينية ومقاصدها في الإسلام.
٤. مشاركة المرأة في العمل العام (التعريفات. الضوابط. المقاصد. الشبهات. التحديات. نماذج للمشاركات. المجالات. الأدوار المعينة).
٥. المحاولات التجديدية المعاصرة في أصول الفقه، دراسة تحليلية.
٦. رعاية المقاصد في منهج القرضاوي.
٧. كلمات في صناعة الداعية الفقيه.
٨. منهج الشيخ محمد الغزالي في تناول مسائل العقيدة.
٩. أهمية القرآن في حياة المسلم.
١٠. أسس التعامل مع القرآن الكريم.
١١. محفوظ نحناح. رمز الإسلام المعتدل في الجزائر.
١٢. الجهاد في سبيل الله... مقاصد وآثار.
١٣. معالم الوسطية في الوقاية من العنف والتطرف.
١٤. القرضاوي الإمام الثائر، دراسة تحليلية أصولية في معالم اجتهاده للثورة المصرية.
١٥. مقاصد الأحكام الفقهية، تاريخها ووظائفها التربوية والدعوية.
١٦. الوحدة الوطنية في الإسلام: مفهومها. ضوابطها. مقاصدها.
١٧. بيان غير المسلمين لدينهم في مجتمعات المسلمين بين الجواز والمنع.
١٨. حفظ الأسرة في الإسلام، قراءة في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها.
١٩. المقاصد الجزئية: ضوابطها. حجيتها. وظائفها. أثرها في الاستدلال الفقهي (رسالة دكتوراه).
٢٠. الآراء الأصولية للدكتور محمد عمارة. قراءة تحليلية نقدية.
٢١. أحكام الشريعة بين التعبد والتعليل، قراءة أصولية في تحقيق أقوال العلماء.
٢٢. حق الأمة في الرقابة على الولاة. الأسس والمقاصد.
٢٣. التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم، في ظلال القرآن نموذجا.
٢٤. التكوين العلمي للعلامة محمد الطاهر بن عاشور، روافده وأثره في تكوين العقلية العلمية المجدِّدة.
٢٥. القوة في السياسة الشرعية. عناصرها. ضوابطها. مقاصدها.
٢٦. مقدمات أصولية في ضبط العمل الثوري وترشيده.
٢٧. نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم، رؤية تأسيسية.

* * *

الفهرس

مقدمة

المبحث الأول: معنى التفسير المقاصدي للقرآن الكريم.

أولا: تعريف التفسير:

ثانيا: تعريف المقاصد:

ثالثا: تعريف التفسير المقاصدي للقرآن الكريم:

المبحث الثاني: التفسير المقاصدي: أنواعه وعلاقته بأنواع التفسير:

المطلب الأول: أنواع التفسير المقاصدي:

النوع الأول: التفسير المقاصدي العام:

١. مقصد توحيد الله وعبادته:

٢. مقصد الهداية الدينية والدنيوية للعباد:

٣. مقصد التزكية وتعليم الحكمة:

٤. مقصد الرحمة والسعادة:

٥. مقصد إقامة الحق والعدل:

النوع الثاني: التفسير المقاصدي الخاص:

المطلب الثاني: علاقة التفسير المقاصدي بأنواع التفسير:

المبحث الثالث: مقومات التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم:

أولا: فهم اللغة العربية وآدابها:

ثانيا: العمل بالقرآن:

ثالثا: تدبر القرآن والعيش معه:

المبحث الرابع: مقاصد التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم:

أولا: امتثالا لأمر الله تعالى:

ثانيا: ترجيح أقوال المفسرين:

ثالثا: استبعاد ما لا فائدة فيه:

رابعًا: فهم السورة وتيسير حفظها:

المبحث الخامس: تطبيقات عملية للتفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم من خلال "في ظلال القرآن" لسيد قطب.

خاتمة.

السيرة الذاتية للمؤلف.

الفهرس.